

سقوط سياسة المقاطعة والحصار

■ **حميدي العبدالله**

دابت الولايات المتحدة والحكومات الغربية على إظهار سلاح المقاطعة والحصار الاقتصادي ضد الدول والحكومات التي ترفض الإنذاع لشروط الهيمنة الغربية. وعلى الرغم من أن سياسة المقاطعة والحصار تلحق الأذى باقتصادات الدول المستهدفة، إلا أن التجارب أثبتت أن فاعليتها السياسية معدومة، بمعنى أن سياسة الحصار أو المقاطعة الاقتصادية لا تدفع الحكومات المستهدفة إلى رفع الراباة البىضاء، كما أنها لا تدفع شعوب تلك البلدان للثورة ضد حكوماتها، وهو الهدف الخفي الذي يقف وراء سياسة فرض الحصار والمقاطعة والعقوبات الاقتصادية، بل في غالب الأحيان فإن شعوب الدول المستهدفة تتلف حول حكوماتها، وحتى إذا تحزكت بعض الشرائح تحت تأثير العقوبات والتحريض الخارجي، فعالمًا ما تفشل هذه التحركات وتتهم الجهات المنظمة لها بأنها عميلة للخارج وتعرّض استقلال بلادها للخطر. حدث هذا جراء سياسة الحصار والمقاطعة والعقوبات التي فرضت على كوبا وكوريا الشمالية والعراق وإيران، وكانت النتائج مماثلة في كل هذه البلدان. لكن من جهة أخرى، فإن سلاح المقاطعة والحصار وفرض العقوبات الاقتصادية على ما يرشد على مستخدميه. فالغرب خسّر الكثير من فرص الاستثمار في الدول المستهدفة، وأسيما تلك التي فتحت أسواقها أمام الاستثمارات الخارجية، مثل روسيا وحتى إيران حزينًا. ويهدأ المعلم لي يكن الضرر الناتج من هذه السياسات هو ضرر أحادي الجانب، أي يصيب الدول المستهدفة، بل إنه أصاب الدول التي فرضت الحصار والعقوبات. ونتيجة لهذا العامل، يمكن الاستنتاج أن حكومة الولايات المتحدة، وتحديدا إدارة أوباما وتحت تأثير الضغط السلبى لهذه السياسة بدأت إعادة النظر فيها. فالولايات المتحدة تراهن من خلال الاتفاق مع إيران حول ملفها النووي المفتعل لأسباب، أن تجد فرصة لاستثماراتها في إيران، وهي دولة كبيرة، كما تسعى أيضا للاستثمار في كوبا، فعنلا شركة «ستاروود» الأميركية للخدمات النفطية عقدت صفقة مع السلطات الكوبية لإفتتاح عدد من الفنادق فيها كخطوة تعتبر الأولى منذ عام 1959. مثل هذا الاتفاق كان مستحيلًا في فترة فرض العقوبات على كوبا.

ومعروف أن سياسة المقاطعة والحصار والعقوبات الاقتصادية المعتمدة من الغرب، شهدت توسعا ملحوظا في العقود الأخيرة وهذا ما ألحق الأذى باقتصادات الدول الغربية التي تعتمد هذه السياسات، وفتح آفاقا أمام الدول الناشئة، مثل مجموعة البريكس للتوسع على حساب الاقتصادات الغربية. ويبدو أن تأثير السياسات السلبية على المصالح الغربية، وتحديدا مصالح الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات هي التي دفعت إدارة أوباما لإعادة سياسة الحصار والعقوبات والحدّ من التوسع بهذه السياسة، علما أن موقف إدارة أوباما إزاء روسيا وفرض عقوبات عليها يؤكد أن هذه السياسة الرجعية وغير المفيدة من وجهة نظر مصالح الشركات الأمريكية لم يتم التخلي عنها نهائيا، ولعل هذا ما يفسر ظاهرا وجود زعامات جديدة في الحزبين التقليديين، الجمهوري والديمقراطي، تعارض بقوة السياسات المعتمدة منذ حوالي أكثر من خمسة عقود.

لقد برهنتم الأسباب والخلفات حول تطبيع العلاقات الأميركية – الكوبية، والتسوية بين إيران والحكومات الغربية حول ملفها النووي، أن سلاح المقاطعة والحصار والعقوبات الاقتصادية، أصبح عبئا على الشعوب وحتى على الحكومات الغربية.

التأقلم الأمريكي

تجهذ جماعة الرياض مغتافلة بموقف دولي يبقى لها ماء الوجه في مفاوضات جنيف.

- يتوقفون أمام كلمات دي ميستورا عن الانتقال السياسي ليستخلصوا منها اقترابا من طروحاتهم.

- يمدحون كل ما يوحى بسلبية بين الوفد السوري الرسمي والمبعوث الأممي ليقولوا إن المناخ الدولي يتحسن.

- مع ذهاب وزير الخارجية الأميركية جون كيري إلى موسكو بدأوا بالحدوث عن تخل روسي عن الرئيوس السوري واستدوا على ذلك بإعلان روسي عن الانسحاب وريطوه بالاحتجاج على الانتخابات النيابية السورية وكلام وزير الخارجية السورية عن الرئاسة حسب أحرص ورفض رئيس الوفد المفاوضات لمرحلة انتقالية.

- أنهى كيري زيارة موسكو وأعلن عن التفاهم على خطوات الحل السياسي. وقالت مصادر في موسكو إن التفاهم يظل مشاركة الأركان في جنيف وتشكيل حكومة موحدة في نهاية حزيران ووضع دستور جديد في نهاية آب.

- ترك للسوريين حسم صيغة العلاقة بين الرئاسة والانتقال السياسي وبالتالي التسليم ببقائها.

- منذ عودة الأسياط الأميركية بلا الحرب على سورية، ومنذ التفاهم على الملف النووي، ومنذ التدخل الروسي وجماعة الرياض يتمنون أن يكون التأقلم الأمريكي وهما ويصدقون وهمهم.

«التعليق السياسي»

صورة لرفقاء في ستينيات القرن الماضي

كانت شهدت الجامعة الأميركية في الفترة 1966–1968 نشاطًا حزبياً جيداً، شمل العديد من كلياتها، وامتد إلى الـ A.I. من أبرز الرفقاء على تلك السنوات: فريد نبتني⁽¹⁾، ياسم معلق⁽²⁾، نظام أسد الأشقر، راغدة أنطون سعادة، رمزي إسطفان⁽³⁾، صلاح زهر⁽⁴⁾، خليل طيش⁽⁵⁾، أنيب وليم صعب⁽⁶⁾، فداء غسان جديد، صفا رقيقة⁽⁷⁾، يوسف زعرور⁽⁸⁾، حليم عودة⁽⁹⁾، نورمن صدقة⁽¹⁰⁾، حنا عبدالله سعاده⁽¹¹⁾، والعشرات غيرهم⁽¹²⁾.

هذه الصورة التقطت في حديقة منزل الرفيق فريد نبتني في بيشمزين (1967–

1968) مع اليمين إلى اليسار الرفيق صلاح زهر، الرفيق الراحل يوسف زعرور، الرفيق فريد نبتني، الأمين ليبيب ناصيف، و.....

هوامش

- فريد نبتني.: من بيشمزين، ساهم بتأسيس العمل الحزبي في الجامعة الأميركية في ستينيات القرن الماضي، كان نشيطا، متديبا ناجحا. غادر إلى أوريغون في الولايات المتحدة ثم إلى جامعة ستانفورد (كاليفورنيا) متخرجا منها.
- ياسم المعلق: من كفرحزير. نشط جيدا في تلك الفترة . عمل في الاعمال وبرز جيدا بإرسال لاداعة «مونتني كارلو».
- رمزي إسطفان: من بلدة دير ميماس (مرجعيون). غادر إلى النمسا وما زال فيها. كان نشيطا جدا في المرحلة المشار إليها.
- صلاح زهر: من العبادية، مثقف وواع عقائديا ويتمتع بإخلاق النهضة. مهندس ناجح ومدير شركة مزدهرة في الولايات المتحدة. شقيقه الرفيق الراحل الشاعر خالد زهر.
- خليل طيش: تخرج طبيبا ناجحا. غادر إلى الولايات المتحدة حيث يحقق نجاحات في عالم الطب. شقيقه الرفيق فيصل نشط جيدا في الجامعة ثم في بيروت قبل أن يغادرها. رجل أعمال.
- أنيب صعب: باحث وأديب وشاعر وأستاذ جامعي.
- صفا رقيقة: من كفرورن رقيقة (صافيتا)، طيب نسائي ناجح ومعروف في العاصمة الأميركية واشنطن. تولى مسؤولية منفذ عام في الولايات المتحدة ومسؤوليات قيادية في «مؤسسة مناهضة التمييز العنصري المعروفة ب A.D.C».
- يوسف زعرور: من قرنة شهبوان ومن الطلبة اللامعين في تلك الفترة . تولى رئاسة الرقطة اللبنانية في الجامعة الأميركية. كان في آخر سن حياته مديرا لشركة «البير ايليا» في منطقة الإمارات العربية، كان رفيقا سريا ثم ما لبث أن كشف هويته الحزبية.
- حليم عودة: من كفرحزير. كان مؤظفا في إدارة مطعم «المليك بار» في الجامعة. غادر إلى يوسطن وفيها نشط حزبيا وكان له حضوره الفعال.
- نورمن صدقة: من بلدة المنيصف. رجل أعمال متقاعد حاليا.
- حنا سعادة: تخرج طبيبا. شاعر وكان أصدر ديوانا شعريا في الستينات. مقيم في الولايات المتحدة حاليا.
- ناهل من الرفقاء الذين نشطوا في تلك المرحلة أن يزودونا بمعلومات تضاف إلى هذه الببذة.



ولأن في التاريخ بدايات المستقبل...

تُخصّص هذه الصفحة صبيحة كل يوم اثنين، لتحتضّن محطات لامعات من تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي، صنعها قوميون اجتماعيون في مراحل صعبة من مسار الحزب، فأضافوا عبرها إلى تراث حزبيهم وتاريخه التمعات تضالية هي خطوات راسخات على طريق النصر العظيم.

البناء

سيرة موجزة لسعاده ولمسيرة الحزب

عبر الصحف الصادرة في الوطن، وفي الإغتراب، أخباره، منذ أن وقف ووقفه الجريئة في المحكمة، كما الاعتقالات التي تعرض لها. فأصبحت في شوق لأن تلقّيه وتستمتع إليه بشرح مبادئ حزبه.

انضم الرفيق أسد الأشقر وكان يتولى مسؤولية منفذ عام الشاطي الذهبي (غانا اليوم) والأمين خالد أديب إلى سعاده فعينهما ناموسين له، أول، وثان، وراحا يساهمان معه بشرح تعاليم الحزب للمقبّلين إليه من أبناء الجالية.

فأخذ العشرات منهم يتمتون، في سان بالوو وخارجها، وبالتالي بدأ الحزب ينتشر وتتأسس له في فرج.

انتشار الحزب، وإصدار سعاده لجريدة «سورية الجديدة» في سان بالوو أثار بعض المتفرسّنين من أبناء الجالية فوشوا به على أنه عميل نازي، فأوقف وأودع السجن مع معاونيه الرفيق أسد والأمين خالد. إلا أن التحقيقات التي أجريت أثبتت براءة سعاده من التهمة الملقطة، فأفرج عنه ليغادر واناموساه إلى الأرجنتين في أواسط أيار 1939.

في الأرجنتين

وصل سعاده إلى بيونس ايرس فلم يكن أحدًا في استقباله. إلا أن الجالية سرعان ما راحت تعرف إلى حضوره، وبدأ اسمه ينتشر في أوساطها، والمواطنون السوريون يقدون للسلام عليه والتعرف إليه، وإلى التعاليم التي يلح.

شيئا فشيئا راح رفقاء بنتمون، وبدورهم راحوا ينقلون الفكرة إلى مواطني لهم. فلم يمض أشهر على وصول سعاده إلى الأرجنتين، حتى كان للحزب أعضاء في بيونس ايرس وفي ولايات أخرى.

وكما أسس سعاده في البرازيل جريدة «سورية الجديدة»، صادر في الأرجنتين، عندما أسس للحزب حضوره في العاصمة وخارجها، إلى إصدار جريدة باسم «الزوبعة» وفيها نشر سلسلة من مقالاته الهامة جمعت وصدرت لاحقًا في كتابين:

جنون الخلود، الإسلام في رسالته.

الحزب في الوطن

في أول أيلول 1939 اندلعت الحرب العالمية الثانية، فكان أول ما قامت به القوات الفرنسية المنتدبة أن راحت تعتقل القوميّين الاجتماعيّين، حتى إذا اجتاحت الجيوش الألمانية فرنسا وتولّت حكومة موالبة لألمانيا الحكم في فرنسا (عرفت بحكومة فيشي إذ اتخذت من مدينة فيشي في الجنوب الفرنسي مقرًا لها) راحت القوات الفرنسية في لبنان، التي التحقت بحكومة فيشي، تعتقل القوميين مجددًا مسقطلة ذلك التهم التي كان جاهلو حقيقة الحزب يرومونه بها على أنه عميل نازي- فاشيستي.

بعض القوميون والكتّابر معظم سنوات الحرب يتعرّضون للسجون والخايع منهم كانوا يساقون إلى معتقل أقييف في «المية ومية» شرقي مدينة صيدا. ففي آب 1940 أصدرت المحكمة العسكرية الفرنسية حكماً بسجن سعاده وعدد من المسؤولين والرفقاء مددًا متفاوتة. كان نصيب سعاده منها عشرين سنة سجناً وعشرين أخرى نفياً.

لذلك، والحرب مندلعة، بات سعاده في الأرجنتين بحكم الإغتراب القسري، غير قادر على العودة إلى وطنه. شارك الحزب في معارك الاستقلال في لبنان والشام وكان لأعضائه دور بارز في التحركات التي حصلت، في بشامون كان الرفيق سعيد فخر الدين هو الشهيد الوحيد الذي سقط في المعارك فداعا عن حكومة الاستقلال التي كان لها مدخل منها إلى بلدة بشامون. وبعد نيف وستة، كان الدركي الرفيق حسن عبد الساتر هو الشهيد الوحيد الذي يسقط فداعا عن العلم اللبناني المرفوع فوق البرلمان. كذلك قام الرفقاء المعتقلون في قلعة راشيا (الأميان جبران جريج وأنيس فاخوري والرفيق زكريا لباييدي) بنقل المعلومات عن المظاهرات التي اندلعت في المدن والمناطق اللبنانية ضد الانتداب الفرنسي، إلى رجال الاستقلال الذين اعتقلوا وسبقوا إلى راشيا، فسأهم هذا العمل الجريء في رفع معنوياتهم وتحزيز صمودهم. وفي الشام شارك القوميون الاجتماعيون في كل التحركات التي حصلت في المدن الشامية، وكان للرفقاء، منهم غسان جديد، ميشال البيك، رجعت شوقي، عبد الكريم الشيخ، دور بارز وطولي.

بعد نيل لبنان لاستقلاله، تعاطت القيادة الحزبية التي تموز إلى إيطاليا فالمانيا، لتبني لدعوة فرعي الحزب في كل من روما وبرلين، كما توجه إلى البرازيل ليصلها في أواخر العام 1938. ما أن غادر سعاده بيروت حتى كانت السلطات الأمنية تتاهم مركز الحزب وتنش حملة اعتقالات في بيروت والمناطق اللبنانية.

البرازيل

لم يكن ممكناً لسعاده أن يتعرف على وضع الحزب بسبب انقطاع الاتصالات، إلى أن غادر غسان تويني إلى

وحتى يبقى المستقبل في دائرة رؤيتنا، يجب أن لا يسقط من تاريخنا تفصيل واحد، ذلك أننا كأمة، استمرار مادي روحي راح يتدفق منذ ما قبل التاريخ الجلي، وبالتالي فإن إبراز محطات الكّمة التضالية، هو في الوقت عينه تأكيد وحدة الوجود القومي منذ انبثاقه وإلى أن تنطفئ الشمس.

كتابة تاريخنا مهمة بحجم الأمة.

2

إعداد: ليبيب ناصيف

الانظمة كان واضحا: لا سلاح للمقومين الاجتماعيين.

فهدّه تخاف على نفسها من قوة الحزب فيما لو ارتد عليها بعد فلسطين.

رفقاء كثيرون طلوعوا وقاتلوا ضمن جيش الإنقاذ.

كذلك قاتل الرفقاء المعضون في الجيشين الشامي واللبناني. تأسست فرقة «الزوبعة» بقيادة الأمين مصطفى سليمان. وسقط للحزب العديد من الشهداء، كان من أبرزهم القتيب محمد زغب، بطل معركة الماكية (والذي أطلق اسمه لاحقاً على تكّة الجيش اللبناني في صيدا) الملازم الطيار فيصل ناصيف، الملازم عبد القادر الحاج يعقوب.

الانظمة المستسلمة، المتواطئة مع «إسرائيل»، ما كانت لتتراح إلى سعاده بنشئ صفا للضباط، ويّجه مدرّين لتدريب أعضاء حزبه، يرفق من وثيرة خطابه القومي التحويي، يزور المناطق ويلقي الخطب الشعبية بمواقف العز القومي، يعيد حزبه إلى خطه العقائدي السليم، يضخّ في حزبه الثقافة القومية الاجتماعية، يدل أن يصرف سعاده إلى فروع حزبه، بانبا وموجها، على التصدي للحمالات الجارحة التي كان يتعرّض لها من العناصر الحاكمة الموتورة التي لم تستطع أن تفهم الحزب نهضةً للأمة وسبيلا إلى تحقيق عزتها، اضطرته ظروفه في الأرجنتين إلى أن يصرّف وقتا ثمينًا للعمل في التجارة من أجل أن يغطي نفقاته، ويحافظ على هيبة الزعامة، خاصة بعد أن عقد قرانه على الرفيقة جوليت العمير (التي راح سعاده يدعوها ضياء) وباتت له عائلة يتوجّب عليه إعانتها.

شكلت الرفيقة جوليت سندا ماديا ومعنويا لسعاده، وكانت المرأة المثالية التي كان يحتاج إليها. في تجارته، كما في قيادته للحزب. معها تكمن من التغلب على مصعبات التي واجهته في مدينة التوكومان عندما انتقل إليها لتأسس عمل مع شخصين وفق بهما فعدرا به بلق وخساسة.

ثمرة زواج سعاده من الرفيقة جوليت (ضياء) كانت ولادة صيغة ويسار في الأرجنتين (أما راغدة فقد ولدت لاحقا في الوطن).

عودة سعاده إلى الوطن

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وعودة الاتصالات بين سعاده ومرکز الحزب في الوطن ، وبالتالي وصول النشرات والتقارير والصحف الحزبية إليه ، أمكن لسعاده أن يطلع على الانحرافات السياسية والفكرية القائمة، إلا أنه لم يشأ أن يبحث تلك الانحرافات عبر الرسائل، ما دامت العودة باتت ممكنة له.

مع اواخر العام 1946 كان سعاده يلغي أعماله في مدينة توكومان، ويتلق وعائلته إلى بيونس ايرس، يغادر وحيدا إلى البرازيل فيؤمن فيها جواز سفره، يعد صعوبات واجهها بشأن ذلك في بيونس ايرس، وتلقّى الحكومة اللبنانية في الموافقة على إعطاء القنصلية الفرنسية في العاصمة الأرجنتينية – التي كانت تقوم بمعاملات اللبنانيين والشاميين في غياب التمثيل الدبلوماسي لكلا البلدين، في حينه – جواز سفر له يمكّنه من العودة إلى الوطن.

في 2 آذار 1947 وبعد توقف لإيام في القاهرة قبل سعاده إلى الأمين نعمة ثابت والرفيق أسد الأشقر اللذان حاولا أن يوضّحا له وضع الدولة اللبنانية بعد نيلها الاستقلال عساه لا يبيقي على ثوابته العقائدية، وصل سعاده إلى مطار بيروت في منطقة بئر حسن ليجد في استقباله عشرات الأوف من رفقائه الذين أتوا من أنحاء الوطن لاستقبال قائد حزبيهم ونهضتهم.

أمام المشهد الهائل غير المتوقع بضخامته، ألقى سعاده خطاباً قوميا أعاد فيه الحزب إلى قواعد، طلبا إلى أعضائه العودة إلى ساحة الجهاد، معبرا بذلك عن إدانته لكل الخروج الذي تم أثناء غيابه . واجبه سعاده بعد عودته مذكرة التوقيف التي أصدرتها الدولة بحقه. إلا أن الدولة سحبت المذكرة بعد 7 أشهر و7 أيام، بعد أن كان سعاده تمكن من الإفلات من قبضتها والالتجاء إلى مناطق في الجبل، أهمها بلدته الشوير وضواحيها.

عمل سعاده إلى إضفاء العناصر الخارجة على عقيدة الحزب ونهجه القومي... إنكّب على بناء الحزب عبر إحيائه النزوة الثقافية (والقاء المحاضرات العنض) واعد إلى القيام بزيارات وجولات حزبية ناجحة إلى المناطق في لبنان والشام، تنظيم احتفالات شعبية شاملة في مناسبات الأول من آذار، الاهتمام بالتدريب العسكري، بعكث بالامن المركزي (المكتب الأعلى المختص) إنشاء صف الضباط، ونهيةت الحزب لداء دوره في فلسطين. كان سعاده في مواجهة المؤامرة على فلسطين، من يصارع الوقت. لقد وصل في آذار 1947. بقي في مناطق الحماية القومية الاجتماعية إلى تشرين أول من العام ذاته، وما هو يواجه حرب 1948 في فلسطين، وحزبه ما يزال طري العود، والإجراءات التي قررها هي صعيدي صف الضباط، وتدريب القوميين الاجتماعيين، ما تزال في أطوارها الأولى.

مع ذلك طلب إلى المنفيين أن تفتح سجلات لتطوع القوميين الاجتماعيين في حرب فلسطين. إلا أن جواب

| |
|--|
| |
| |
| |

دعوة زميلات المدرسة أو الذهاب لزيارتهم. ممنوع الخروج من المنزل، ممنوع الجلوس على الشرفة، ممنوع اللعب في مدخل البناء.

تسرّدت أنا المراهقة على «ممنوعات» خالتي، بالكاد يسعني العالم، أريد أن أكتشفه، أن أفك طلاسه، فكيف الأزم النبئ؟ اعلمتها حربا شعواء. فلما خلا يوم من مشادة بيني وبينها، أريد أن أحيا حياة طبيعية كبقية زميلاتي، لامجترزة في المنزل. وهي تمنعني من الحياة. الحياة بالنسبة لها الخطر الأكبر، ماذا تقول لوأحد أن حصل متروكوه لي؟ اعتبرت واجبا أساسا أن تعيدني إلى والدي كما تركزتي. أريد أن أكون كبيرة، وتريد هي أن يبقف الزمن ولا تعاود عقارب الساعة الحراك إلا بعدإطلاق سراح والدي.

تراكمت هواجس خالتي ومخاوفها وكوابيسها الأكثر سوداوية حين «عقشني» الأمن العام صبيحة الأول من كانون الثاني 1962 بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة للحزب السوري القومي الاجتماعي. يكفي أن أكون ابنة أنطون سعاده لأدخل السجن. حين تمّ الإفراج عني بعد أربعين يوماً، وجدت خالتي في حالة يرثي لها. فقدت الكثير من زوها، وأغصابها منهارة. من الأسهل على الأدم أن تنكمش مناعب أولادها، لكن لها تجرؤ اختها على المجازفة بفحقتا لسن لها؟ زرّت خالتي في بيونس آيرس عام 1981. لم تشك يوماً بأن بغاءها مفضى على حياتها الخاصة، وعلى أحلامها وسنقلها وحتى عملها المهني. توفيت فقيرة، وكان من الممكن لها أن تعيش حياة هائلة مرفهة لو قالت فقط: لا. لن أبقى مع الفتلات. رغبة الألامنة التي حازتها لا تقارن بتضحيتها لحياتها من أجلنا وأجل أختها. بقيت أمينة لنا حتى الموت.

^[1] سعاده الذي كان يتعرّض للسجون والخايع منهم كانوا يساقون إلى معتقل أقييف في «المية ومية» شرقي مدينة صيدا